حكاية إعمار عراقية

دار الكتب والوثائق ما زالت تمحو آثار الحرائق وتعيد للعراق ذاكرته

تحقيق وتصوير / مفيد الصافي

رفضت السيدة نضال محمود - رئيسة قسم البليوغرافيا والبحوث في دار الكتب والوثائق- بخجل شديد التقاط صورة لها ،تحدثت عن العمل الذي قامت به في انجاز ببليوغرافية (الانتاج الفكري للمرأة العراقية خلال عشر سنوات) ، وهو عمل تم أول مرة في العراق ويلخص كل ما كتبته عراقية كأطروحة او كتاب في مختلف الميادين قالت "انه عمل صعب ولم يكن هناك عدد كاف من الموظفين انذاك ، فكنت احمل الملفات معي الى المنزل حتى أكملته "ولم تنس ذكر مديرها الذي شجعها و مسؤول قسم المخازن الذي كان يدقق البيانات ، السيدة نضال خريجة عام ١٩٨٢ دبلوم مكتبات ، تحدثت عن أساليب العمل الجديدة والمختلفة والتي مهدت لكل هذا.

صاحب التجديد

وأنت تعبر بناية وزارة الدفاع القديمة وتندفع يسارا تدخل الى عالم اخر هنا تشعر ان هنالك اختلافا كبيرا بين عالم ضيق بالكتل الخرسانية والاسلاك وبين عالم آخر رحب وهادىء يسع ذاكرة العراق كله . في غرفة المدير العام الواسعة والتي ضمت رفوفا حوت نفائس تم انقاذها من الضياع. يبرز الدكتور سعد بشير اسكندر المدير الجديد الذي اشرف على تفعيل الدار بعد حصول الكارثة، شاب يحمل الكثير من الافكار التي ساهمت في اعادة الحياة الى هذا المكان، وهو مؤرخ في تاريخ كردستان و في تاريخ العلاقات الدولية - ماجستير ودكتوراه من جامعة لندن - وصف دار الكتب والوثائق بانها مظلة تضم مؤسستين هما الأرشيف الوطني والمكتبة الوطنية. وعرف اهمية الأرشيف الوطني بانه يعنى بجمع وحماية وصيانة ملفات المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية منذ تأسيس الدولة العراقية والى اليوم، يغطي مختلف جوانب الحياة في العراق الحديث الإدارية والتعليمية والمالية والاقتصادية والصحية والاجتماعية والخدماتية. قال الدكتور "ان المتحف العراقي هو الذاكرة التاريخية القديمة ونحن المكملون له لأننا الذاكرة الحديثة".

واشار الى أن من مهماتهم ايضا جمع وحماية انتاج المؤلف العراقي، سواء اكان كتابا او مقالة، والاحتفاظ بنسخة واحدة في الاقل وبهذه الطريقة يحمونها من الضياع لتكون في متناول الباحثين، لقد اتخذ قرار دمج الدائرتين في زمن النظام السابق في عام ١٩٨٧ لأسباب اقتصادية، محاولة منه لتقليل المصروفات في الميادين الثقافية والخدمية لينشغل بالحروب.

> **مدير الدار: ما حصل هنا كارثة ، خسائر بنسبة ٩٥٪ وفقدنا ملفات العهد العثماني والاحتلال البريطاني والجمهوريات الثلاث وخرائط وصوراً تاريخية نادرة**

الكارثة الحقيقية

وصف دكتور سعد ما جرى في الدار قائلاً "ان ما حدث هنا هو كارثة حقيقية بل هو الكارثة الاولى في العراق، رغم ان الاعلام ركز على امور اخرى" قدرت الخسائر ب٩٥٪ ،خسارة في الثقافة والمعرفة، كتب نادرة، كتب عادية، صحف ومجلات . اما خسائر المكتبة فوصلت الى ٢٥٪ . سرقت او أحرقت الاف المطبوعات . وحرق الأرشيف والملفات والصور والخرائط بنسبة ٦٠٪ . وفقدت بالكامل ملفات العهد العثماني والاحتلال البريطاني والعهد الجمهوري الأول والثاني والثالث،وفقدت الخرائط التاريخية والادارية بنحو٩٠٪، وحرقت الصور التاريخية بنسبة٩٥٪ . وصف الدار قبل ثلاثة اعوام قائلا"ألاماكن التي لم يصل اليها الحريق، كانت مغطاة بطبقة سميكة من السخام والغبار والاتربة، تتجول فيها الحشرات والكلاب السائبة". قسم دكتور سعد المعتدين الى ثلاثة اقسام القسم الاول هم الجهلة الذين جاؤوا الى الدائرة بهدف السرقة وحرق ما لا يمكن حمله، والقسم الثاني كانوا لصوصا محترفين يعرفون ان الدائرة تحتوي على مواد معرفية مهمة وكتب نادرة وملفات تاريخية،والقسم الثالث هم ازلام النظام السابق الذين قاموا بحرق الملفات السرية التي تهمهم..

اعمال وانجازات

تحدث الدكتور سعد عن المنجزات التي قاموا بها وعن عمل ببيلوغرافيا وطنية وهو أمر كان متوقفا منذ عام ١٩٩٦، ومحاولة جمع كل كتاب عراقي في كل ابواب المعرفة، وهو اهم عمل تقوم به الدار . و عن توثيق الانتاج الفكري للمراة العراقية في كل الاختصاصات (انتاج فكر المراة العراقية) وعن توثيق الكتب العبرية ليهود العراق وهي كتب احتفظت بها الجالية اليهودية العراقية في معابدها ومدارسها وبيوتها ولكن النظام السابق لم يهتم بها فتعرضت اعداد هائلة منها الى التلف فكان عليهم حماية المتبقي منها وتصنيفها وتوثيقها في سبيل توفيرها الى الباحثين. وذكر مشروعاً جديد منفذاً اسمه (روافد ثقافية) وهو عبارة عن عناوين الكتب التي تصل الى الدار وعمل ملخصات منها وإرسالها الى الجامعات والكليات وهذه المختصرات يقوم بها موظفو الدار بشكل مبسط وهو ليس نقدا ولكنه مجرد عرض في سبيل تعريف الباحث بالكتب الجديدة. يغطي كل عدد نحو ٧٠ الى ٨٠ كتابا. وتحدث عن مشروع ضخم اسمه (ذاكرة بغداد) وهو عمل مقسم الى ثلاث مراحل .المرحلة الأولى هي عمل ببليوغرافيا فيها كل ما كتب عن بغداد، سواء في اطاريح،مقالات، كتب، صحف،فاذا اراد الباحث معرفة التغيرات السكانية لمدينة بغداد فيأتي اليها ،وهي تضم كذلك اسم المؤلف وتاريخ الاصدار ومكان الطبع وهذا المشروع تم البدء به وسوف يخرج الجزء الاول في الشهر السادس او السابع، وفي المرحلة الثانية يتم تصوير المقالات والصحف حتى يستطيع الباحث تناولها بسهولة اكثر وفي المرحلة الاخيرة يتم عمل موسوعة متكاملة عن مدينة بغداد على شكل مجلدات.

جولة طويلة

تحرك السيد مازن إبراهيم اسماعيل المشرف على الارشيف الوطني داخل قسم التفتيش والذي يقوم بجلب الملفات من جميع الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في كل انحاء العراق -الملفات التي مضى عليها ٢٥ عاما - وهو يتحدث عن طريقة سحب الملفات من الدوائر، وعن الملفات (غير النشيطة) التي يتم سحب نسخ منها قبل هذا الوقت لانتفاء الحاجة اليها وكيف يكون السحب وفق الضوابط والشروط . وفي المرحلة الثانية يتم إجراء كافة العمليات الفنية على الملفة من تسجيل الى ترقيم وتقييم وفهرسة (الملفة) اما في المرحلة الثالثة فتذهب الملفة الى قسم المايكرو فيلم حيث تصور الملفة وتحول على شكل أفلام صغيرة تذهب الى قسم خدمات الباحثين وقال السيد مازن" الملفة الأصلية التي انتهي من تصويرها تذهب الى قسم المخازن ولاتخرج منها نهائيا مهما كان السبب". و الافلام المصغرة تتجه الى الباحثين ليتناولوها بالدراسة امام جهاز القاريء وأكد ان اغلب الباحثين هم من طلاب الماجستير والدكتوراه. أشارت السيدة آمنة يعقوب الى ان قسم المكتبة الوثائقية من الأقسام الحديثة ويضم جميع السجلات والوثائق والتقارير والنشرات الدورية. وأكد ان من شروط العمل هنا ان يكون الموظف امينا لا يسرب المعلومات التي يراها.

في قسم خزن الوثائق ارتفعت الملفات وسط القاعة - ملفات الدولة العراقية منذ عام ١٩٦٢ الى اليوم - وهو قسم كبير يحوي على رفوف مفتوحة ومرتبة بشكل منظم، وأشار الى السجلات التي ارتفعت عاليا لتصل الى السقف كأنها متاهة عملاقة قال السيد مازن"لا نستطيع ان نذكر اعداد الملفات لاننا بطور العد والجرد"

اقسام اخرى

تحدث السيد محمد إسماعيل الشامي مسؤول نشرة روافد الثقافية عن عمله واصفا اهمية النشرات ومتحدثا عن الكادر الذي يضم خمسة موظفين قاموا بانجازها، وعن الرسائل الجامعية الحديثة .اما في قسم الفهرسة فوصفت السيدة عبير ناهي طريقة عمل البطاقات الوصفية للكتب وكيفية وضع الأرقام عليها وتصنيفها وكيفية إعداد الفهارس كي يستطيع الباحث من خلالها العثور على ما يريده.وفي قسم التزويد تحدثت السيدة حليمة حسين رئيسة القسم عن كيفية شراء الكتب التي يحتاجها الباحثون قالت"لقد بلغ عدد الكتب التي تم شراؤها ١٩٤١ كتابا خلال عام ٢٠٠٥". وفي غرفة الكومبيوتر ذكرت السيدة امل كاظم طريقة ملء البيانات التي تخص الكتب والاطاريح العربية ووصفت طريقة إدخال البيانات التي تخص عناوين الكتب وبيانات النشر والتأليف "حاليا نعمل على إضافة عناوين الكتب الأجنبية التي تضمها الدار. وتحدثت عن خطة مستقبلية لإدخال الكومبيوتر إلى قسم المطالعة فيقوم الباحث بالتفتيش عن العناوين عن طريقه وليس عن طريق تفتيش العناوين في الخانات.

ذاكرة العراق

في قاعة القراءة وصفت السيدة إيمان عبدالله مسؤولة قسم المطالعين طريقة عملهم في ملء الاستمارة من قبل الباحثين والهويات السنوية التي تعمل لهم وتحدثت عن طريقة تصنيف الكتب حسب الحروف . وفي داخل عالم الكتب ذكر السيد إبراهيم قادر محمد مسؤول قسم الاعارة ان الطابق الارضي يضم المجلات العراقية والعربية القديمة "هنالك مجلات قديمة مثل جريدة الزوراء الصادرة في عام ١٨٦٩، او مجلة (ليلة) الصادرة في القرن التاسع عشر"اما الطابق الثاني فمخصص الى الاطاريح الجامعية وكذلك للعلوم الاجتماعية، والطابق الثالث فمخصص للكتب الأدبية والدينية والطابق الرابع للعلوم التطبيقية والفن والتاريخ اما الطابق الأخير فمخصص الى اللغات الأجنبية". واخيرا قال "اننا ننظف اثار الحريق منذ ثلاث سنين ومازالت بعض الآثار موجودة في الطابق الخامس".

كارثة زراعية على أبواب كربلاء

ستة أطنان من التمور هذا العام مقابل ١٤ طناً عام ٢٠٠٢!

كربلاء/ المدى

واقع الزراعة في العراق قد تدهور بسبب الحروب وبسبب السياسات الطامعة بخيرات هذا البلد وخاصة بعد اكتشاف النفط .لتتحول الاقتصاديات الكبيرة بدلا من الزراعة إلى ما هو تحت الأرض فأهملت الزراعة في حين إن الدول الكبيرة التي تعتمد على نفطنا أخذت تهتم بالزراعة فتصدر لنا ما تنتجه أرضهم لنأكل .فتحولت الأرض إلى بور ورمال زاحفة لان الساسة الكبار استسهلوا بيع النفط وشراء الأكل..فتحول الفلاح إلى المدينة في هجرة معاكسة ليعيش في وظائف لم تكن مقاسة له .

وكربلاء واحدة من المدن التي تشتهر بالزراعة وخاصة الحمضيات والتمور..إلا إن الإهمال امتدت يداه إليها وحولت تلك الواحات إلى ذاكرة إلا من بعض الذين تمسكوا بأرضهم لأنهم اعتبروها هي الأصل وما تنتجه الأرض من اخضرار جميل هو الغاية الكبرى.

ومن اجل تسليط الضوء على الزراعة في كربلاء توجهنا إلى رئيس مهندسين اقدم آمال الدين مجيد الهر مدير زراعة المحافظة لنضع أمامه أسئلة المزارعين والفلاحين التي حملونا أياها لعلهم يحصلون على إجابة شافية لواقعهم الزراعي.

امراض النخيل وتأخير المعالجة

تشتهر كربلاء بتمرها وحمضياتها فما بين تمر الخستاوي والبرتقال ورمانها وتينها وكوجتها ثمة سوق وارض وفلاحين حين ينظرون الى ما يتدلى من اغصان وعذوق اشجارهم تصيبهم الفرحة..ولكن وبعد ان شن العراق جملة من الحروب في الداخل والخارج تحولت تلك الاشجار الباسمة الى جذوع تئن من الامراض لتختفي معها ابتسامات الفلاحين.ويقول الفلاح راضي المسعودي ان نخيله قد هلك وتدنى محصول التمر الى اقل من النصف عما كان ينتجه بستانه حتى عام ٢٠٠٢ ويضيف كنت اجني أكثر من ١٤ طنا اما الان فانا اجني اقل من ٦ أطنان بسبب عدم قيام مديرية الزراعة بمكافحة امراض النخيل التي تعددت اسماؤها لكن اصعب ما فيها هو مرض الدوباس..فهل تنفع بعد هذه السنوات الثلاث معالجة ما ترميه الطائرات وتعيد الانتاجية الى ماكانت عليه بعد ان مات نصف نخيل بستاني؟

يقول مدير الزراعة..ما يقوله الفلاحون صحيح وعلينا ان نشعر بمعاناتهم ولكن ليس السبب هو دائرتنا او وزارة الزراعة بل هناك عدة اسباب اثرت وتسابقت من اجل تاخير معالجة امراض النخيل..منها جوانب سياسية واخرى امنية ولكن هناك جهات لا تريد ادخال الطائرات الزراعية الى العراق من اجل مكافحة الامراض حتى يبقى العراق يستورد محاصيله الزراعية من الخارج بعد ان كان حتى ثمانينيات القرن الماضي هو المصدر.ويضيف الهر..كنت مهندسا في هذه الدائرة وتركتها في بداية الثمانينيات من القرن الماضي كنت اشرف على تصدير المنتوجات الزراعية الى خارج العراق وكانت كميات الاجبان المتوفرة في الاسواق مثلا وكانها مستوردة بينما هي من منتجات المناطق الزراعية في كربلاء..اما الان وحين يرفع الي تقرير يومي حول ما متوفر من المنتجات الزراعية في علوة (المخضر) اجد ان اكثر من ٦٠٪ هي سلع مستوردة أي من مصدر خارجي ويؤسفني اكثر حين نعرف ان اكثر من ٩٠٪ من المواد الغذائية المعلبة هي استيراد خارجي ايضا..ويبين الهر ان النظام السابق كان شموليا في جميع النواحي حتى انه اثر بسياساته الرعناء في مراحل الانتاج الزراعي من الحراثة الى التسويق ضمن خطة مركزية فاشلة..مما ادى الى انني لم اجد مع بداية الثمانينيات رجلا واحدا يعمل في القرية لانهم اما ذهبوا الى جبهات الحرب او الى الفرق الحزبية او الاعدام او الاعتقال ..واذا ما نظرنا الى الخطة التي اسماها بالثورة الزراعية التي صرف عليها مليارات الدنانير ولكن بين ليلة وضحاها كل شيء تفتت وفشلت جميع المنشات وحولها الى ازلامه ليعيثوا فيها ما شاءوا.لنصل الى مرحلة الاحتلال الذي تسبب هو الاخر بتعطيل ايصال الطائرات تحت حجج امنية تارة وتارة اخرى تحت حجج سياسية ولكن كل هذه الاسباب مجتمعة ادت الى موت اكثر من ٥٠٠ الف نخلة من نخيل كربلاء البالغ عدده اكثر من مليون ونصف المليون نخلة وتدهور انتاج اكثر من ٥٠٪ من هذا العدد.

الحزام الاخضر ومصدات الرمل

كربلاء تحيطها الصحراء من جهتها الغربية بينما تتمتع جهاتها الشرقية والشمالية بأراضٍ زراعية الا ان هذه الصحراء تؤثر في الزراعة حين تنتقل الرمال زحفا الى هذه المناطق لتتأثر الزراعة مثلما تاثرت بالمياه الجوفية التي تعبث بما هو تحت الارض ليطفح فوقها ملحا ..وامام هذه الحالة كان لا بد من التفكير بعمل شيء ما لوقف زحف الرمال فكانت الفكرة هي تنفيذ مشروع الحزام الاخضر الذي يحيط كربلاء من جهتها الصحراوية..الا ان هذا المشروع الذي اعلن عنه لم ير النور بعد.

يقول مدير الزراعة..ان الحزام الاخضر مشروع عملاق اذا ما استطعنا تنفيذه بشكل صحيح ولكن علي القول ان هذا المشروع هو بمجهود خاص أي ليس له ميزانية او تخصيصات مالية عدا المساعدات من قبل الدوائر ومجلس المحافظة الذي رفدتنا بعدد من العمال وجهزتنا بالاليات وخصصت لنا اخيرا ٢٠ مليون دينار من قبل مديريتي الموارد المائية والطرق والجسور ..ويبين الهر ان طول المشروع يبلغ ٣٠ كم وعرضه ١٠٠ متر وهو على شكل خطوط متوازية لثلاثة اصناف من الاشجار هي النخيل والزيتون واليوكالبتوس..ومحدد بساترين ترابيين يصعب اختراقهما وستكون له منافذ على شكل ابراج بارتفاع ٦م..

تبرع بمبلغ ٢٠ مليون دينار ووزارة الموارد المائية قامت بحفر ١٨ بئرا من اصل ٣٥ بئرا أي لكل عشرة دونمات بئر مع طاقمه..وتجهزه بكامل المستلزمات وكذلك مديرية البلديات في كربلاء

> **مدير زراعة كربلاء: حين تعطي الدولة البعض من الفلاحين سماداً وآلات زراعية يقوم بتهريبها أو بيعها في السوق السوداء**

عدم توفر الطاقة الكهربائية أو الوقود إذ يسبب عرقلة في حركة الآليات الزراعية أو ازدياد كلفة الإنتاج. أما المشاكل الرئيسة التي تم السيطرة عليها خلال هذا الموسم فهي مشكلة ارتفاع مستوى المياه الجوفية التي تغرق الأراضي والذي وصل إلى مستوى أدى إلى تدهور كبير في المشاريع الزراعية وهدد جميع بساتين محافظة كربلاء بالانقراض وتسبب في تدهور بساتين الحمضيات وتردي إنتاج النخيل ..في الآونة الأخيرة تم العمل على مشروعين من اجل حل هذه المشكلة الأول تنفيذ مشروع الفرات القديم (الهنيدية) بحيث يكون سحب المازل بصورة انسيابية إلى خارج حدود كربلاء وهناك دراسة لتطوير بحيرة الرزازة تم انجاز ١٠٪ والعمل مستمر وحصلنا على نتائج ايجابية بالتعاون مع وزارتي الزراعة والموارد المائية وتم ضخ اكثر من ٢٠٠م٣/ ثانية ماء الى بحيرة الرزازة على عدة دفعات وتحولت الان الرزازة الى بيئة صالحة لاكثار الاسماك بعد الهلاكات التي تعرضت لها هذه الثروة المهمة خلال السنوات الماضية بسبب ارتفاع نسبة الملوحة.

ويضيف الهر..ولكنني اود الاشارة الى ان الكثير من المزراعين يقولون ان بلدنا غني من دون ان يدركوا اننا فقراء في زراعتنا فاذا ما اخذنا هولندا مثلا وهي بلد زراعي فنجد ان مساحتها لا تتجاوز مساحة كربلاء الا ان مدخولها السنوي يتجاوز ٢٠٠ مليار دولار وهو مدخول يعادل مجموع مداخيل الدول العربية النفطية وغير النفطية.. وهذا علينا ان نعود الفلاح الا يعتمد على الدولة وان ندخله في دورات تطويرية وليس ادخال الموظفين فقط وايفادهم الى الخارج من اجل التعرف على كيفية التطور الزراعي وماذا يقوم الفلاح به من اجل زيادة الانتاج، لانني اعتبر ان الفلاح هو المحرك للنهوض بالعملية الزراعية وليست الدولة..اضافة الى وجود مشكلة اخرى وهي ان الفلاح ليس له رأس مال يستطيع الوقوف به على قدميه لذلك علينا ان فكر بانشاء شركات زراعية بين الفلاحين في الاقل لا ان يزرع ما يريده الفلاح ثم يطالب الدولة بتوفير ما يريده بينما البعض من الفلاحين حين تعطيه الدولة سمادا او آلة زاعية فهو يقوم بتهريبها الى الاردن او يبيعها في السوق السوداء..!!

القرية العصرية

يقول مدير الزراعة ان على الفلاح ان يقوم هو بمتابعة ما يفيد زيادة الانتاجية وان على الدولة ان تقوم بتثقيفه زراعيا كما اوضح لنا اثناء اللقاء ولكن على الجانب الاخر فان مسؤولية الدولة هي ان تقوم بتنفيذ مشاريع زراعية لها واقع ستراتيجي.. فهل تقوم مديرية الزراعة بدراسة الاحتياجات الستراتيجة للنهوض بالواقع الزراعي بدلا من انتظار الفلاح الذي تعود وتربى على ان تكون هناك يد مساعدة له لكي ينتج؟

يجيب مدير الزراعة.نعم وهذا احد مفاتيح الحلول المهمة فعلى وزارة الزراعة ان تنفذ مثل هذه المشاريع وقد قمنا بانشاء ٦ مجاميع لوضع الاسس الصحيحة للزراعة منها مركز البحوث والدراسات في كربلاء وهو الاول من نوعه في العراق وهناك عقود مع كلية الزراعة بجامعة كربلاء ومن اولى مهمامه هو بحث المكافحة المتكاملة لامراض النخيل مثلما هناك فكرة مطروحة لايجاد مركز خاص لدراسة حشرة الدوباس في العراق ومركزه كربلاء ايضا.وكذلك باشرنا تنفيذ مشروع مختبر التربة وهناك مختبر اخر للوقاية وهو متطور وحديث وايضا هناك مركز دراسة المنطقة الصحراوية ومركز تطوير الطماطم في كربلاء ومركز تطوير البطاطا ومركز اكثار نبات الفطر وهناك مشاريع لانشاء بساتين الزيتون بصورة علمية ..وهناك مشروع القرية العصرية التي تقع على مساحة ٦ الاف دونم يتم توزيعها على المهندسين الزراعيين والاطباء البيطريين وخريجي المعاهد الزراعية بعدد ١٠٠ مستثمر له دار سكنية وكافة الملحقات الزراعية الاخرى ولكل مستثمر ٤٠ دونما وتملك له على وفق قرار ١١٧ وان الدولة ستوفر لهم قروضا ميسرة تسدد بعد مرور ٤ سنوات من بدء المشروع الذي فيه ايضا مركز صحي ومدرسة وجامع ودائرة للكهرباء وبريد ومستوصف بيطري واسواق ويقع هذا المشروع على مبعدة ١٣ كم من كربلاء على طريق قضاء عين التمر.